مقال بعنوان:

العشر الأواخر من رمضان

لفضيلة الشيخ:

عبدالله بن صالح القصيّر

حفظه الله ورعاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنان، الذي أكرمنا ببلوغ شهر رمضان، وأسبغ علينا فيه من الفضل والخير، وتوّج هذا الشهر بليلة القدر، ليلة خير من ألف شهر.

أما بعد:

فإن العشر الأواخر من رمضان خير من أوله وأوسطه، وفي كلٍ خير، فإن الله تعالى قد اختص هذه الليالي العشر بمزيد من الأجور الكثيرة والخيرات الوفيرة، والله تعالى عليم حكيم يضع الأمور مواضعها اللائقة بها، فلولا أن هذه الليالي العشر الأخيرة تستحق التفضيل ما فضلها، ونوه بفضلها.

ومما يبين فضل العشر الأواخر من رمضان أمور:

الأول: أن الله تعالى أقسم بها في قوله تعالى سبحانه: ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر:2]، والله تعالى لا يقسم إلا بعظيم ذي شأن، فإن في الإقسام بالشيء من المخلوقات دلالةً على فضله وشرفه، وتذكيرًا للعباد بعظم النعمة بإيجاده، وتنبيهًا لهم على أن ذلك الشيء من آيات التوحيد ودلائل القدرة، وأن على

العباد أن يغتنموا ما يمكن اغتنامه منه في مرضاة الله تعالى ويشكروه على الإنعام به.

وهكذا فإن الإقسام بليالي العشر من رمضان تنبيهًا على فضلها وشرفها، وعظيم النعمة بها، وتذكيرًا للمخاطبين على كثرة بركتها وخيرها، وحثًّا لهم على اغتنام لياليها بالتقرب إلى الله تعالى بما شرع فيها من الطاعات وجليل القربات، فإنها أفضل ليالي السنة على الإطلاق ـ كما أن أيام العشر من ذي الحجة أفضل أيام السنة على الإطلاق ـ، كما هو مذهب جمع من محققي أهل العلم.

الثاني: أن النبي ﷺ كان يخص تلك الليالي بمزيد من الاجتهاد ويوليها ما تستحق من العناية؛ إشهارًا لفضلها وحثًّا للأمة على طلب فضائلها وبركاتها، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله"، وفي صحيح مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان ـ تعني: النبي ﷺ ـ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها."

وتواتر أن النبي ﷺ كان يعتكف تلك الليالي، فيلازم المسجد، فلا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان، فكان النبي ﷺ في هذا العشر يقطع الأشغال ويفرغ البال، ويشتغل بصالح الأعمال من صلاة وصدقة وتلاوة للقرآن وجود بأنواع الإحسان

والذكر والدعاء استزادة من الخير والهدى. فتفرغ النبي ﷺ لها واعتكافه فيها من أكبر الأدلة على فضلها وشرفها.

الثالث: إن فيها ليلة القدر قطعًا، لقوله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان»، وقوله ﷺ: «التمسوها في الوتر من العشر»، وهذه الليلة ليلة شريفة عظيمة البركة ادخر الله فيها لهذه الأمة خيرًا كثيرًا. ويكفي نص الله عز وجل على أنها الليلة المباركة، كما قال سبحانه في تنزيل القرآن الذي هو أعظم كتب الله تعالى شأنًا وبركة: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان:3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر:1].

ومن أدلة فضلها وشرفها قوله تعالى: ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر:3]، وألف شهر تزيد على ثمانين سنة، فهي ليلة واحدة ولكن خير من ثمانين سنة خالية منها، وهذا يدل على فضل العمل فيها وكثرة ما يعطي الله تعالى من يقومها من الأجر العظيم والثواب الكريم، ومما يدل على فضلها، ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»، ولأن يبذل المرء الدنيا كلها ـ لو ملكها ـ من أجل أن يتخلص من خطيئة واحدة من خطاياه لم يكن ذلك كثيرًا، فكيف وقائمُ تلك الليلة يُغفر له ما تقدم من ذنبه، وهي إحدى ليالي هذه العشر، فبقيامها يُغفر ذنبه دون أن

يخسر شيئًا من ماله مع ما يحصل له من الخير الكثير والأجر الكبير والعتق من النار.

وقد أخفى الله تعالى هذه الليلة في العشر الأواخر ـ لما له سبحانه من الحكم ـ؛ ليعظم الاجتهاد في تحريها، ويكثر العمل، ويضاعف الثواب، فإن العباد إذا قاموا كل ليلة من تلك الليالي راجين أن تكون ليلة القدر كان لهم عند الله تعالى ما احتسبوا، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فيكون لهم ثواب عشر ليال على أن كل واحدة منها ليلة القدر.

والصحيح أن تلك الليلة تنتقل في ليالي العشر، فتكون مثلًا في سنة ليلة ثلاث وعشرين، وفي أخرى ليلة سبع وعشرين وفي ثالثة ليلة تسع وعشرين، وقد تكون أول ليلة في العشر، وقد تكون آخر ليلة في العشر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم حث الأمة على التماسها في جميع ليالي العشر، وما ورد في الأحاديث الشريفة بتحديدها في ليلة معينة، فالمراد من تلك السنة التي أخبر النبي ﷺ إنها فيها بعينها؛ لأنه جاءت الأخبار عنها من طريق الوحي، والوحي انقطع بموت النبي ﷺ.

الرابع: إجماع المسلمين ـ علمائهم وعامتهم مستندين إلى نصوص الكتاب والسنة ـ على فضل تلك الليالي وشأن العمل الصالح فيها، والأمة لا تجتمع إلا على الحق، فإنها معصومة من أن تجتمع على ضلالة، والخير كله في الاقتداء بالسلف الصالح

واتباع سبيل المؤمنين، والشر كله في مشاقة الله ورسوله واتباع غير سبيل المؤمنين.

• والمقصود أنه ينبغي للمسلم الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان بأنواع الأعمال الصالحة؛ اغتنامًا لفضلها وطلبًا لبركتها والتماسًا لليلة القدر فيها، وأخذًا بسنة النبي ﷺ الذي مات وهو عليها، فيحيي سنة قيامها واعتكاف أيامها، وليكون ممن يحيون السنن ويسابقون إلى الخيرات وأسباب المغفرة والجنات، وليبرأ من حال أهل السآمة والكسل الذين ينشطون أول الشهر ويفرطون في موسم العشر.

نسأل الله تعالى أن يجيرنا من تلك الحال، وأن يلحقنا بالسلف الصالح فيما كانوا عليه من الهدى والدين، وأن يجمعنا بهم في منازل المقربين، آمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

تراث الشيخ عبدالله القصيّر

تاريخ النشر: 2022-04-21